

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الدرس السادس والأربعون

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم اغفر لنا ولشيخنا وللحاضرين
يقول المؤلف - رحمه الله تعالى -:

باب لا يرد من سأل بالله

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ ((من سأل بالله فأعطوه، ومن استعاذ بالله فأعيذوه ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفا فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم كافأتموه)) رواه أبو داود و النسائي بسند صحيح

[الشرح]

الحمد لله قال المصنف - رحمه الله تعالى - : باب لا يرد من سأل بالله

◆ مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد

أن في رد من سأل بالله عدم تعظيم وإجلال له وهذا ينافي كمال التوحيد مناسبتة لكتاب التوحيد أن في رد من سأل بالله عدم إعظام وإجلال لله المسئول به فهذا وهذا مناف لكمال التوحيد، والأمر بين فانه لو جاءك إنسان وقال لك أنا جئتك من طرف فلان ويقول لك كذا وكذا يعني أعن فلان ولا سهل أمره كذا وكذا لو أنك رددته لكان في ذلك رد على هذا المتوسل به، وإذا كما يقول الناس وجبته وقضيت حاجتك كان في ذلك تقدير وإعزاز له والله المثل الأعلى، إذا جاءك إنسان وقال أسألك بالله فبادرت وليت له طلبته كان ذلك دليل على إعظامك للمسئول به وهو الله - سبحانه وتعالى -، ولذلك يقوم في قلوب المؤمنين في هذا المقام بحسب إيمانهم، وكان مما قد ذكر النبي ﷺ قصة رجل أعطى بالله واستدان واقترض قرضاً وقال من يضمنك فقال: الله، قال: نعم بالله ثم رد الله تعالى عليه غائبة، فينبغي إذا أن يقوم في قلب المؤمن من تعظيم هذه المسألة ما يدل على تعظيمه لربه المسئول به .

◆ ساق المصنف - رحمه الله - تعالى لهذا الباب حديث ابن عمر - رضي الله عنه - ما - قال: قال رسول الله ﷺ:

"من استعاذ بالله فأعيذوه" من استعاذ الاستعاذة هي طلب العون، والإعازة: هي الحماية واللجوء فمن استعاذ بالله فأعيذوه أعيدوه مما من شر ما استعاذ كل أو من شركم أنتم وكلا الأمرين وارد، ألم تقل مريم -

رضي الله عنه - قالت: {إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا} فواجهته بهذا الأمر وكأن يقول إنسان لآخر أعوذ بالله منك فهذا نوع من الاستعاذة بالله من نفس المخاطب بأن يقول أعوذ بالله منك أو أن يطلب منك أن تعيده من شر معتد من استعاذ بالله فأعيذوه، فإذا سمعته يقول إني أعوذ بالله من كذا وكذا فأعذه لكي تكون سببا في حصول إعادة الله لهذا المستعيد طبعاً ما لم يكن ذلك بباطل فإن من استعاذ وهو فار بخربة عليه حد دم أو نحو ذلك فهذا لا يعاذ ولا يئوى فقد مر بنا لعن الله من آوى محدثاً، طيب الجملة الثانية:

"من سأل بالله فأعطوه": وهذا هو الشاهد من هذا الحديث لهذا الباب ومن سأل بالله بأن قال لك مثلاً أسألك بالله كذا وكذا فأعطوه لماذا قال فأعطوه أي أعطوه ما سأل به لما في ذلك من تعظيم المسئول به وهو الله - سبحانه وتعالى -، قال: ومن سأل بالله فأعطوه

الجملة الثالثة؛ "ومن دعاكم فأجيبوه": هذه لا تتعلق بمسائل التوحيد وإنما تتعلق بباب الأدب وهو إجابة الدعوة:

- وقد حملها [جمهور العلماء] على إجابة وليمة العرس خاصة

- وذهب [بعض أهل العلم] إلى أنها لا تختص بوليمة العرس بل في كل دعوة إذ أن من حق المسلم على المسلم أن إذا دعاه أن يجيبه.

وعلى كل حال حملها الجمهور على وليمة العرس لأن إجابة وليمة العرس واجبة ولهذا جاء في الحديث "شر الطعام طعام الوليمة يدعى إليها من أبابها ويمنعها من أرادها ومن لم يجب الدعوة فقد عصا أبا القاسم" ومع ذلك فإن إجابة الدعوة حتى دعوة وليمة العرس لا تتحقق إلا بشروط.

◆ لا يجب على الإنسان أن يجيب دعوة وليمة العرس إلا بشروط من هذه الشروط:

(١) أولاً: أن يكون الداعي مسلماً؛ لأنه قد ورد الوصف به مقيداً في بعض الأحاديث في الأخوة الإيانية
(٢) أيضاً ألا يكون الداعي ممن يجب هجره؛ فإذا كان الداعي ممن يجب هجره لبدعة أو لمعصية والمصلحة تقتضي هجره فلا يجب عليك أن تجيبه لأن هجره وسيلة للإصلاح.

(٣) الشرط الثالث: ألا يكون في هذه الدعوة منكر لا يقدر على إزالته؛ فإذا كنت تعلم أن في هذه الدعوة التي دعيت إليها منكر وهذا المنكر لا تقدر على إزالته كأن يكون في ذلك الحفل مثلاً ضرب بالموسيقى والمعازف

وغير ذلك وأن تعلم من حالك أن لا تستطيع أن تغيره فلا يجب عليك إجابة الدعوة، أما إن كنت تستطيع الإزالة فحينئذ تجب عليك إجابة من وجهين:

- الوجه الأول: لأنه دعوة أخ مسلماً،

- الوجه الثاني من باب تغيير المنكر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر طيب

(٤) الشرط الرابع: قال العلماء: ألا يكون كسبه حرام وهذه تحتاج إلى نظر وهو أن يفرق: بين أن يكون الكسب حراماً، وبين أن يكون ذات الطعام حراماً. فالصحيح أنه إذا كان الكسب حراماً - يعني محرم لكسبه لا لعينه فهذا لا يضر لأن النبي ﷺ كانت تدعوه اليهود إلى طعامها فيجيب دعوتهم مع أن الله وصفهم بأنهم أكالون للسهو وقد دعاه مرة يهوديا إلى إهالة سخرة فأجاب الدعوة، لكن لو كان الداعي تعلم أنه مثلاً اغتصب شاة وذبحها ودعاك إليها فلا يحل لك أن تجيب دعوته لأن عين الطعام محرم لا كسبه.

(٥) أيضاً من شروط إجابة الدعوة: ألا تتضمن تفويت واجب؛ فلو أنه دعاك وقت صلاة الجمعة مثلاً فانك لا تجيب دعوته

(٦) كذلك ألا تتضمن ضرراً عليك؛ فلو كان في أجابتك إياه تفويت مصلحة لك يعني مصلحة راجحة لا يمكن قضائها في غير هذا الوقت أو يترتب عليك مضرة مثل أن تخشى على نفسك من عدو أو غريم ملازم أو نحو ذلك فإن الوجوب يسقط.

على كل حال هذه الشروط الستة هي شروط إجابة الدعاء وإجابة الدعوة وهو استطراد بسبب هذه الجملة وهي قول النبي ﷺ "ومن دعاكم فأجيبوه". وفي الجملة - معشر طلبة العلم - فإن:

◆ من أخلاق المسلم الطيبة أن يجيب دعوة الداعي إذا دعاه:

لأن إجابتك لدعوة أخيك تدخل السرور على نفسه وكما تحب أن تجاب دعوتك فهم يجوبون أن تجيب دعوتهم فينبغي للإنسان أن يكون هيناً لينا وأن يكون حسن العشرة مع عباد الله يجيب دعوتهم وحتى لو قدر أنه وقع في هذه الدعوة منكر فإنه يجتهد في تغيير المنكر فإن لم يحصل مراده فإنه ينسحب بهدوء دون أن يترتب على ذلك منكر أشد منه. ثم قال في الجملة بعدها "ومن صنع إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم كافأتموه" ما شاء الله. "من صنع إليكم معروفا" ما المقصود بالمعروف؟ المعروف اسم جامع للخير كما أن المنكر اسم جامع للشر والمراد يعني من أحسن إليكم من صنع إليكم معروفا فكافئوه. فقد يصنع لك معروفا بقضاء حاجه أو شفاة أو صدقة أو هديه أو ما أشبه

فكافئوه: يعني قابله بمثل ذلك، ولهذا كان النبي ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها فينبغي أن يكون من الآداب المرعية بين المسلمين هو المكافئة مقابلة الإحسان بإحسان،

طيب فإن قال قائل أنا ما عندي شيء أنا صعلوك ليس عندي مال أقابل به هذا الإحسان ماذا أصنع؟ قد فتح له النبي ﷺ باب فقال:

"فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه" فادعوا له يعني اجتهدوا له في الدعاء حتى يقع في قلبك أنك أخلصت له في الدعاء ودعوت له دعاء كثيرا يقابل إحسانه إليك.

والحقيقة أن الدعاء هذا من أحسن المكافئة فربما تدعو له بتوسعة الرزق، ودفع الضر، وكشف الضر، والشفاء وما أشبه ذلك من الدعوات الصالحة إذا هذا حديث كثير الفوائد.

◊ ومناسبة للباب هو قوله "ومن سأل بالله فأعطوه"

ففيه الأمر بإعطاء من سأل بالله وعدم رده وهو موضوع الترجمة في هذا الباب

◊ نستفيد من هذا الحديث فوائد منها:-

- عدم رد من سأل بالله إجلال الله وتعظيمها له
- ونستفيد أيضا وجوب إعادة من استعاذ بالله، ودفع الشر عنه
- ونستفيد ثالثا؛ وجوب إجابة دعوة المسلم "ومن دعاكم فأجيبوه"
- ونستفيد أيضا مقابلة الإحسان بالإحسان،
- واعلموا - يا إخوان - أن هذا له صلة بالتوحيد لأن إحسان إنسان إليك هو في الحقيقة منة عليك فانك تقلدت في عنقك منه لمخلوق من المخلوقين،

وينبغي أن تكون المنة كاملة لله تعالى فلذلك إذا كافأته بقيت فقط ممتنا لله رب العالمين، فلذلك ينبغي لك أن تكافئه لكي يحصل بذلك التوازن، ولهذا قيل في الأمثال: (سل من شئت تكن أسيره ، واستغني عن من شئت تكن نظيره ، وأعطي من شئت تكن أميرا) ، سل من شئت تكن أسيره إذا كان إنسان يستجدي من الآخرين يصبح كالأسير، واستغني عن من شئت تكن نظيره إذا استغنيت عن أحد من الناس كنت أنت وإياه على حد سواء ليس كذلك كلانا غني عن أخيه حياته ونحن إذا متنا أشد تغانيا، وأعطي من شئت تكن أميرا لأن اليد العليا خير من اليد السفلى. ينبغي مقابلة الإحسان بالإحسان لكي تخلص المنة لله تعالى، وكان النبي ﷺ قد بايع نفرا

من أصحابه على ألا يسألوا الناس شيئا فكن أحدهم يسقط سوطه من ظهر بعيه فينزل فيتناوله لا يسأل أحدا أن يعطيه شيئا وهذا كله لكهال وفائهم وهذا العهد الذي بايعوا عليه النبي ﷺ - وفيه أيضا أن الدعاء نوع من المكافأة لمن لم يقدر عليها. يبقى بعد ذلك :

◆ قول النبي ﷺ: "ومن سأل بالله فأعطوه" أن هذا مقيد بقدرة الإنسان وعدم الإجحاف به

فلو سألك سائل مثلا ما لك سألتك بالله أن تنازل لي عن مالك أو عن سيارتك التي تركب لا يلزمك وليس من عدم تعظيم الله أن ترده، وإنما المراد ما تقدر عليه ويكون من فضل مالك ولك فيه سعة أما إذا طالك أو طال من تعول ضرر فهذا لا يجب عليك فهذا هو المراد. لنستمع إلى المسائل :

- الأولى: إعادة من استعاذ بالله

[الشرح]: وهذا بين يعني من استعاذ بالله فأعذه

- الثانية: إعطاء من سأل بالله

- الثالثة: إجابة الدعوة

[الشرح]: نعم واضح

- الرابعة: المكافأة على الصنيعة

[الشرح]: الصنيعة المقصود بها المعروف

- الخامسة: أن الدعاء مكافأة لمن لا يقدر إلا عليه

[الشرح]: نعم ولهذا ينبغي للإنسان إذا أحسن إليه أحد ألا يقول كما يقول كثيرا من الناس شكرا لا الواقع إن قال شكرا فليست بمنزلة أن يقول "جزاك الله خيرا" لأن شكرا تقول أنا شاكر لك وحسب لكنك فقط عبرت عن ما في نفسك إذا قلت جزاك الله خيرا دعوت له سقت إليه خيرا نعم

- السادسة: قوله: "حتى تروا أنكم قد كافأتموه"

[الشرح]: يعني مراده حتى تروا يعني حتى تعلموا أنكم قد كافأتموه وهذا أمر وجدي يجده الإنسان في نفسه يرى أنه قد أبلغ في المسألة وأخلص في الدعاء لصاحبه فإذا قام في قلبه ذلك كفي.

باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة

عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ " لا يسأل بوجه الله إلا الجنة " رواه أبو داود

[الشرح]

◆ نعم هذا في الحقيقة عودا مما له صلة بالتوحيد:

وذلك أنه لما كان وجه الله من اشرف صفاته كان لا ينبغي أن يسأل به إلا أعلى المطالب لما كان وجه الله من أشرف صفاته كان لا ينبغي ولا يجوز أن يسأل به إلا أعلى المطالب هذا وجه مناسبته لكتاب التوحيد

◆ ولا ريب أن لربنا - سبحانه وبحمده - وجه كريم:

يليق بجماله وجماله وكماله - سبحانه وبحمده - وقد دلنا على ثبوت الوجه كتاب الله وسنة نبيه ﷺ إذا أن هذا من الصفات الخبرية التي لا سبيل إلى إثباتها إلا عن طريق الكتاب والسنة

فما الدليل من كتاب الله؟ قال الله - عز وجل - { ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام } ، وقال سبحانه { كل شيء هالك إلا وجهه } ، وقال سبحانه { إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى } فأضاف الله الوجه إلى ذاته دل على أنه وجه كريم اتصف به - سبحانه وبحمده .

وكذلك في سنة النبي ﷺ قد جاء كذلك إثبات الوجه:

- كما في هذا الحديث (حديث الباب)

- يقول النبي ﷺ " حجاب النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه "

"حجاب النور" يعني حجاب الرب - سبحانه وتعالى - النور، "لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه" نوره وبهائه ما انتهى إليه بصره من خلقه ، إذا قد ثبت الوجه بالكتاب والسنة وإجماع السلف . فنعتقد لله وجهها حقيقيا لا يماثل وجوه المخلوقين موصوف بالجلال والإكرام . هذا الوجه لا يجوز أن يسأل به إلا أعلى المطالب، وأعلى المطالب المادية هي الجنة؛ فلهذا ساق حديث جابر.

◆ عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ " لا يسأل بوجه الله إلا الجنة " رواه أبو داود

وأبو داود: رواه وسكت عنه وكان في الحقيقة من طريقة أبو داود في رسالته التي أرسلها إلى أهل مكة أن ما سكت عنه فهو صحيح عنده، وهذا الحديث في الحقيقة قد رواه جمع سوى أبي داود فممن رواه: البيهقي، والخطيب البغدادي، وابن عدي، وحسنه البغوي، ورمز له السيوطي بالصحة أي لا يرمز السيوطي بالصحة في الجامع الصغير، ومن شواهد أيضا له شاهد من حديث أبي موسى أنه في حديث مرفوع " ملعون من سأل بوجه الله

وملعون من سئل بوجه الله فمنع سائله ما لم يسأل هجرا، وقد رواه من حديث موسى الطبراني حديث حسن فلعل الحديث أن يكون حسن ، وقد ضعفه بعض أهل العلم لكنه تبيننا وجه مناسبته لكتاب التوحيد أنه لما كان الوجه من أشرف صفات الله - عز وجل - فإنه لا يسأل به إلا أعلى المطالب وهي الجنة، إذا قوله في حديث جابر:

"لا يسأل بوجه الله": هكذا لا يسأل بوجه الله خرج مخرج النفي أو النهي؟ النفي لا يسأل هذا نفي متى تكون نهي لو قال لا تسأل وقد رويت كذلك بالنهي أيضا وهو، وان جاءت بالنفي فإنه يدل على النهي أيضا

◆ فمنااسبة الحديث للباب مطابقة

◆ ونستفيد من هذا الحديث:-

- أولا: إثبات صفة الوجه لله - سبحانه وتعالى -

- نستفيد أيضا وجوب تعظيم صفات الله وأسماءه

ونستفيد ثالثا: عدم السؤال بوجه الله إلا الجنة أنه لا يجوز السؤال بوجه الله إلا الجنة فلا يسأل بوجه الله شيئا من أغراض الدنيا ما يأتي أحد يقول أسألك بوجه الله أن تعطيني كذا وكذا هذا في الحقيقة استهانة وابتدال بهذا الوصف الشريف العظيم فلا ينبغي أن يسأل به إلا الأمور العظام نعم

المسائل:

- الأولى: النهي عن أن يسأل بوجه الله إلا غاية المطالب

[الشرح]: وغاية المطالب هي الجنة

-الثانية: هي إثبات صفة الوجه

[الشرح]: واضح.

باب ما جاء في الـ "لو"

وقول الله تعالى: { يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا }

وقوله { الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا }

وفي الصحيح عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: ((احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وان أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان))

[الشرح]

◆ قال المصنف - رحمه الله تعالى -: باب ما جاء في الـ "لو"

دخول الألف واللام على حرف لو: في الحقيقة لا يراد به التعريف لأنها لا تفيد التعريف هاهنا لأنها لفظ لو حرف ودخول الألف واللام عليها لا يفيد التعريف مثل قول أحدهم وجدنا الوليد بن يزيد مباركا شديدا بأعداء الخلافة كذا وكذا فقال الوليد ابن يزيد فدخول الـ على الـ يزيد أراد إدخال الـ على اللفظ فدخوله عليه من باب فقط يعني اللفظ لا أنها تفيدها تعريفا .

◆ سبب ذكر المصنف - رحمه الله - لهذا الباب في كتاب التوحيد:

لعلاقته بالقدر وذلك أن من الإيـان بالقدر عدم الاعتراض على قضاء الله وقدره والرضا بما قسم ولو تفيد الاعتراض على القدر وعدم الرضا به
قال: باب ما جاء في الـ "لو" وقول الله تعالى:

◆ { يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا }:

(يقولون) من القائل؟ المنافقون، متى كان ذلك؟ يوم أحد فإنكم تعلمون أن المسلمين خرجوا يوم أحد إلى لقاء عدوهم من المشركين وجرى لهم في أول النهار انتصار لكن الرماة عصوا وتركوا مواقعهم فصارت الدائرة على المسلمين وقتل من المسلمين نحو سبعين فصار هؤلاء يتحسرون ويتندمون يعني يستطيعون على النبي ﷺ ويقول قائلهم ما كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا ومرادهم بقولهم:

(لو كان لنا من الأمر شيء): لو كان الاختيار لنا لكن محمد ﷺ طواع الشبان وترك مقاتلتنا وذلك أن النبي ﷺ

كان قد استشار أصحابه هل يقاتلهم في أزقة المدينة ويرمونهم من فوق البيوت والدور أم يخرج إليهم وكان يميل هو إلى الرأي الأول لكن شبان الصحابة الذين لم يشهدوا معركة بدر كان فيهم توقي للجهاد فاختاروا الثانية فدخل النبي ﷺ ولبس لأمته لأمت الحرب ففي أثناء دخوله قال بعضهم لبعض إنا قد حملنا رسول الله ﷺ على ما يكره فلما خرج إليهم قالوا: "يا رسول الله كما ترى إن شئت قاتلناهم في المدينة، قال: ما كان لنبي

لبس لأمته أن ينزعها حتى يفصل الله بينه وبين عدوه" فكان ما كان مما قدره الله - عز وجل - وترتب عليه من الأمور الحسنة والمكاسب العظيمة ما يعلمه المتأمل فكانت فكرة هؤلاء المنافقين إن قال قائلهم:

(لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلناها هنا): أي لما وقع علينا غلبة ولم يقتل من قتل في هذه المعركة تمام هذه الآية رد الله عليهم: قال الله - عز وجل - : { قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور } في هذا رد عليهم بأن قدر الله ماض ومشيئته نافذة وأنه من قد كتب الله عليه أن يقتل ويموت فوالله ليعثنه الله إلى مصرعه فلا مجال للتحصن، كل شيء بقدر كل شيء ماض حسب ما كتب الله تعالى وقدر فلو كنتم في بيوتكم ، (قل لو كنتم في بيوتكم) يعني لو قدر أنكم اكتنتم في هذا البيوت ، (لبرز الذين كتب عليهم القتل) يعني لخرج الذين قضى الله تعالى عليهم بالقتل منكم ، (إلى مضاجعهم) يعني إلى مصارعهم فيقتلوا وحينئذ لا ينفعهم قعودهم وبقائهم في البيوت لكن الله أراد من وراء ذلك حكمة: (وليبتلي الله ما في صدوركم) أي يختبر مكنونات الصدور من الإخلاص لله - سبحانه وتعالى - والطاعة لنبهه - صلى الله عليه وسلم - ، (وليمحص ما في قلوبكم) (يمحص): أي يفحص ويميز ما فيها من النيات الصالحة أو الفاسدة ، (والله عليم بذات الصدور) أي بمخبوءات الصدور، إذا هذه الآية في الحقيقة يعني آية عظيمة.

♦ والشاهد من هذه الآية لهذا الباب هو: ذم الله تعالى هؤلاء المنافقين لقولهم (لو) يقولون { لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلناها هنا } فلا يجوز استعمال لو في الاستدراك على المصائب،

♦ ولعلنا الآن نذكر: الأوجه المختلفة لاستعمال لو وحكم كل وجه:

(١) من هذه الوجوه أحيانا تستخدم لو على سبيل الاعتراض على الشرع، ما مثاله (لو أطاعونا ما قتلوا) إذا ما الواجب طاعة الله والرسول ولا طاعة هؤلاء طاعة الله والرسول، إذا قولهم لو أطاعونا هذا في الواقع اعتراض على الشرع فكل من استعمل "لو" معترضا على الشرع فاستعماله لها محرم مثلا لو قال قائل مثلا لو أن السرقة ما كان حدها قطع اليد وإنما السجن لمدة عشر سنين مثلا أليس هذا اعتراض على الشرع عد هذا اعتراض على الشرع لا يجوز ولا يسوغ إنسان على فريضة وشريعة ثابتة لو كان الأمر خلاف ذلك طيب هذا نوع

(٢) الثاني: الاعتراض على القدر كقولهم { لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا } لأن الموت والقتل بقدر الله فمن قال ((لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا)) هذا اعتراض على القدر وهذا أيضا محرم.

(٣) نوع ثالث: أن تستعمل للندم والتحسر وهذا هو الذي سيأتينا - إن شاء الله - في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - وهو قول النبي ﷺ "ولا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا فإن لو تفتح عمل الشيطان" ما عمل الشيطان؟ التحسر والندم فلا يجوز استعمال لو للندم والتحسر ، وهذا كثير عند الناس تجد الواحد إذا وقع عليه الشيء قال لو أني كذا وكذا يقول الطالب مثلا الذي تبين رسوبه في الامتحان لو أني ما خرجت مبكرا وصبرت كان أجبت الفقرة التي نسيتها، لو أني تقدمت قليلا لحصل كذا وكذا ما أكثر ما يستخدم الناس لو على سبيل التحسر فهذا أيضا محرم.

(٤) أيضا قد يستخدم بعض الناس لو على سبيل الاحتجاج بالقدر؛ ومثال ذلك على سبيل الاحتجاج بالقدر على معصية الله أو ترك طاعة الله كقول المشركين { لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا } رأيتم يقول قائلهم (لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا) هم صحيح لو شاء الله ما أشركوا هم ولا آباؤهم لكن متى علموا أن الله شاء ذلك بعد وقوع ذلك منهم فلا يمكن الاحتجاج بالقدر على فعل المعصية أو ترك الطاعة فمن استعمل لو على هذا الوجه فهذا استعمال باطل

(٥) قد تستخدم لو على سبيل التمني؛ كقول القائل كما في الحديث "لو أن لي مال فلان لصنعت كذا وكذا" فهو بنيت بعض الناس مثلا لو أن لي مال فلان لتصدقت ولججت لاعتمرت ولبنيت مسجد فهذا تمني فهو بنيته يجزى على نيته وربما -والعياذ بالله- يقول قائل لو أن لي مال فلان لسافرت إلى البلاد التي ينتشر فيها العهر ولشرب الخمر ولكذا وكذا من الأمور الباطلة فهو بنيته أيضا لأن نيته سارت نية سوء

(٦) وأخيرا قد تكون لو للتأسف على فوات الخير أو للخبر المحض كقول النبي ﷺ "لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدى" فما حكم هذا النوع الأخير؟ جائز قطعاً لأن النبي ﷺ استعمله فإذا خرجت على سبيل التأسف على فوات الخير لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدى ولأحللت معكم أو لجعلتها متعة فإذا كان هذا للتأسف على فوات الخير أو بغرض التعليم فهذا جائز وقد يكون مستحبا إذا كان لغرض صحيح . إذا تبين أن استخدام لو له نحو ست أو سبع صور ولكل حكم.

لكن السياق الذي جاءت به هذه الآية وهي قوله أنهم يقولون { لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا } من أي

الأنواع؟

- من باب الاعتراض على القدر { لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا } .

- ويصح أيضا أن يكون من باب الاعتراض على الشرع، لأنه كيف يكون لهم من الأمر شيء والأمر لله ولرسوله ﷺ .

◊ طيب إذا نستفيد من الآية التي جعلها المصنف ترجمة للباب:-

- النهى عن قول لو في الأمور المقدره
- ونستفيد أيضا وجوب الرضا بقدر الله وقضاءه أو بقضاء الله وقدره
- ونستفيد الحكمة المشهورة لا يغني حذر من قدر من قوله: { قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم } فلا يغني حذر من قدر فالقدر المرسوم فلا بد من وقوعه لكن هذا لا يمنع العبد من فعل الأسباب لأن القدر مغيب عنك نعم لو كان أحدنا وهذا غير ممكن يعلم من القدر لما كان لفعل الأسباب فائدة لكن أنا وقد أخفى عنا القدر فينبغي فعل الأسباب لأن فعل الأسباب أيضا من القدر
- وأيضا نستفيد أن من كتب عليه الموت فانه لا بد له منه يعني من كتب له الموت في موضع فلا بد له منه ولهذا كان النبي ﷺ يوم بدر يخرج إلى ميدان المعركة قبل وقوعها ويقول هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان يشير إلى مواضع سوف تكون مصارع المشركين وقد قال ربنا - عز وجل - { وما تدري نفس بأي أرض تموت } فقد عين الله تعالى البقعة التي سيموت فيها كل حي.
- ثم ذكر المصنف - رحمه الله تعالى -

◊ قول الله - عز وجل - : {الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا}

مرة أخرى تتمة هذه الآية يقول: { فادرؤوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين } إذا:

{الذين قالوا لإخوانهم} من هؤلاء القائلين؟ المنافقون، قالوا لإخوانهم،

الأخوة هنا ليست أخوة الدين ولكنها أخوة النسب:

- إذ الجميع من الأوس والخزرج
 - أو لأنهم وافقوهم في الظاهر لأن المنافق يتظاهر بأنه مع الجماعة وهو ليس منهم.
- فإما أن يكون هذه الأخوة هي أخوة النسب لكونهم من محتدا واحد وإما لأنهم مجتمعون في الظاهر {الذين قالوا لإخوانهم

وقعدوا}: يعني قعدوا عن الجهاد ولم يخرجوا إليه

فالواو ها هنا تختمل: أن تكون عاطفة ، وتختمل أن تكون حالية ، يعني الذين قالوا وقعدوا فتكون قعدوا معطوفة على قالوا أو تكون حالية يعني أنهم قاتلوا لإخوانهم حال قعودهم هذان توجيهان كلاهما له وجه ماذا قالوا: {لو أطاعونا}: أي لو أطاعونا في القعود ، {ما قتلوا}: أي ما كانوا يقتلوا فرد الله عليهم ، {قل فادروا} أي ادفعوا ، {عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين} يعني إن كنتم صادقين في أن القعود يدفع عنهم قدر الله

◆ فهذه أيضا مناسبة للباب

لأنه قد استعملت فيها لو على وجه الاعتراض على القدر

◆ فنستفيد من هذه الآية:-

- التحذير من قول لو على وجه الاعتراض على القدر

- وفيها أيضا أن تقتضى الصدق التسليم بالقدر لقوله: {إن كنتم صادقين}

- وأخيرا فيها مشروعية مجادلة المنافقين في الحق

قال المصنف - رحمه الله - تعالى:

◆ وفي الصحيح مراده صحيح مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: " احرص على ما

ينفعك " : جملة نبوية وتوجيه نبوي وهو فعل أمر بالحرص، والحرص: هو بذل الجهد للوصول إلى المقصود،

"على ما ينفعك" يعني في دينك وديناك ما ينفعك أطلق يعني في دينك وديناك في معاشك ومعادك ،

"واستعن بالله" استعن يعني اطلب العون واستعن بالله، "ولا تعجزن" هكذا جاءت بنون التوكيد ولا

تعجزن أي لا يقعد بك العجز عن الوصول إلى مقصودك، "وان أصابك شيء" أي إن وقع عليك قدر من

قدر الله - عز وجل - من الأمور المؤلمة ، "وان أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت" يعني صنعت كذا

وصنعت، فلا تقل لو أني فعلت كذا، كذا لكان كذا وكذا "ولكن قل قدر الله وما شاء فعل" يعني أن ما جرى

كان قدر الله، فلا بد من التسليم له ، فإن لو تفتح عمل الشيطان: أي إيلامه للنفس بالتحسر والتندم .

هذا الحديث - أيها الإخوان - من أعظم أسباب السعادة لمن فقهه هو من أعظم أسباب السعادة، وذلك أن

الإنسان لا يخلوا أن يكون في نقطة بين الماضي والمستقبل فكيف ينبغي له أن يري الأمور الماضية؟ وكيف له أن

ينبغي له أن يري الأمور المستقبلية؟

(١) أولا أعطى النبي ﷺ توجيهها عظيما وكان، وكان مطلع الحديث المؤمن القوى خير و أحب إلى الله من المؤمن

الضعيف " احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن " هذه الجمل الثلاث هي خطة المستقبل:

- احرص على ما ينفعك أي أمر لك فيه نفع في دينك ودنياك فابذل وسعك واستفرغ ابذل جهدك واستفرغ وسعك في تحصيله.

- "واستعن بالله" أي استعن بمعبودك للوصول إلى مقصودك ولا تتكلف على جهدك وذكاءك وتحصيلك مستغنيا عن ربك واستعن بالله.

- "ولا تعجز" أن لا يلحقك العجز والوهن كما يقع لكثير من الناس يقول ربما قد لعل يمكن إلى آخره كثير من الناس يقعد به عن مصالحه مثل هذه الإيرادات كل ما هم في أمر له فيه مصلحة أو عرض عليه أمر له فيه مصلحة قال بس يمكن كذا ربما كذا قد يكون كذا لعل كذا فلا تزال هذه الكلمات تثبطه حتى تقعد به عن مصالحه فهل هذا مؤمن قوى أو مؤمن ضعيف؟ هذا مؤمن ضعيف المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، طيب

٢) ما الموقف من الأمور الماضية؟

- "وان أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا" أمور تبين فيها قدر الله وجرى بها القلم في اللوح المحفوظ لا فائدة من أن تقول لو يا ليت فقط لو شيء قليل لو أني فعلت هذا التحسر لا يغني عنك شيئاً لا يرد مفقوداً فلذلك ما الذي ينبغي لك أن تقول في الأمور الماضية قدر الله يعني هذا قدر الله وأنا راض بقدر الله (ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله) هو العبد تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير) ما الثمرة؟ (لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يجب كل مختال فخور) ولكن قل قدر الله ويصلح ولكن قل قدر الله بالفعل وما شاء فعل.

فإن لو تفتح عمل الشيطان: فهذه الجملة جملة تعليلية للنهي عن استعمال لو.

◆ إذا هذا الحديث في الواقع مناسب مناسبة تامة للترجمة

لأن فيه النهي عن قول لو لقول النبي ﷺ فلا تقل لو أني فعلت كذا

◆ ونستفيد من هذا الحديث العظيم الذي وصفته بأنه باب من أبواب السعادة عدة فوائد:-

- أولاً: الحظ على تحصيل المنافع الدينية والدينية

- الفائدة الثانية: فعل الأسباب وأنه لا ينافي التوكل لأن الأمر بالحرص هو استفرغ الجهد وبذل الوسع إذا هذا يدل على فعل الأسباب وأن ذلك لا ينافي التوكل

- الفائدة الثالثة: وجوب الاستعانة بالله لتحصيل المطالب وعدم الاعتماد على الذات، والقدرة والقوة

♦ التنبيه على كتب تنمية الذات، وتنمية المهارات:

وبهذه المناسبة أنبه - أيها الإخوان، وأرجوا أن ترعوني أسماعكم - على طائفة من الكتب التي اجتاحت المكتبات لمؤلفين غربيين أو متأثرين بالغربيين الذين يكتبون عن تنمية الذات وتنمية المهارات تجد أن كتاباتهم كلها مركزة على الاعتماد على الذات، والثقة في الذات لا تجد ذكرا للاستعانة بالله - عز وجل - والتوكل عليه

وهذا في الحقيقة مذهب أو طريقة نشأت في أحضان الغرب الكافر الذي لا يقيم وزنا ولا اعتبارا لأمر الإيثار، أما أهل إلا سلام فيجب أن يكون لهم طريقتهم المميزة التي تجمع بين الاستعانة بالله والتوكل عليه، وبذل الجهد واستفراغ الوسع وهذا أقوى ما يكون هذه الطريقة أفضل من الطرق التي يعولون عليها، ويطبقون لها الدورات، ويعقدون لها اللقاءات وتجد أنها (منزوعة الدسم) كما يقال ما فيها إيمان ما فيها توكل على الله ما فيها ثقة كلها تعول على الذات وكأن الإنسان قادر على فعل كل شيء وفعلا أحيانا يستخدمون مثل هذه التعبيرات يقول ليس هناك شيء مستحيل!! كيف؟ غير صحيح!! هذا بيع للوهم هذا يعني تغييب للمخاطبين.

بل يقال كل شيء بقدر واستعن بالله مهما قالوا من كلام فلن يرتقي إلى هذا الكلام النبوي احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز هذا خير من كثير من هذا الغناء الذي تملأ به رفوف المكتبات

- نستفيد أيضا النهي عن العجز والبطالة لقوله "ولا تعجزن" النهي عن العجز والبطالة وإلغاء الأسباب - ونستفيد أيضا إثبات القدر "ولكن قل قدر الله وما شاء فعل" إثبات القدر ونستفيد أيضا وجوب الصبر عند المصائب لقوله "وان أصابك شيء" يعني من الأمور المستكرهه فيجب الصبر عند نزول المصائب ولهذا أخبر الإمام أحمد - رحمه الله - قال الإمام أحمد ذكر الصبر في القرآن في كم موضع في تسعين موضعا

- وكذلك أيضا النهي عن قول لو لأن النبي ﷺ صرح فقال: "فلا تقل لو أي فعلت كذا" النهي عن قول لو على وجه التسخط

- وفيه أيضا إثبات عمل الشيطان؛ الشيطان يعمل يشتغل فإن لو تفتح عمل الشيطان - وفيه التحذير من كيد الشيطان؛ قد نبه النبي ﷺ بأن هذا من مداخله ففيه التحذير من كيد الشيطان - ومن أول جملة التي لم يسقها المؤلف ها هنا وهي قول النبي ﷺ المؤمن القوى خير وأحب إلى الله نستفيد إثبات محبة الله إثبات محبة الله وتفاضلها يعني إن المحبة تتفاوت لقوله المؤمن القوى خير وأحب إلى الله.

- وفيه أيضا تفاضل المؤمنين لأن المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف فهذا يدل على تفاضل أهل الإيمان خلاف للمرجئة

- وفيه أيضا إبطال الاحتجاج بالقدر على الفوائت أبطال الاحتجاج بالقدر على الفوائت لا يجوز الاحتجاج بالقدر على الأمور الفائتة

- وفيه أيضا حسن تعليم النبي ﷺ لأنه منع من شيء فتح شيء لما قال "لا تقل لو أي فعلت كذا" أرشد إلى البديل وهو أن يقول "قدر الله وما شاء فعل"

◆ فيه مسائل

- الأولى: تفسير الآيتين في آل عمران

[الشرح]: وقد تقدم الآيتين المتعلقتان بأمر المنافقين

- الثانية: النهي الصريح عن قول "لو" إذا أصابك شيء

[الشرح]: لقوله فلا تقل لو

- الثالثة: تعليل المسألة بأن ذلك يفتح عمل الشيطان

[الشرح]: لقوله "فان لو تفتح عمل الشيطان"

- الرابعة: الإرشاد إلى الكلام الحسن

[الشرح]: وهو قوله "قدر الله وما شاء فعل"

- الخامسة: الأمر بالحرص على ما ينفع مع الاستعانة بالله

[الشرح]: احرص على ما ينفعك واستعن بالله

- السادسة: النهي عن ضد ذلك وهو العجز

[الشرح]: ولا تعجز أو ولا تعجزن

والله أعلم؛